تأملات في سورة التوبه(1)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلىآله وأصحابه وعلى سائر من اقتفى أثره وتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين ...أما بعد..فهذا هو اللقاء المتجدد حول تأملات لنا لكتاب ربنا جل جلاله وقد كنا قد انتهينا إلى سورة الأنفال وسنشرع اليوم إن شاء الله تعالى في تأملات في سورة التوبة سائلين الله جل وعلا التوفيق لما يحبه ويرضاه والعون والسداد على التأمل فيها ...على أنني أكرر ما أقوله دائما إن المخاطب في مثل هذه التأملات هم طلبة العلم في المقام الأول ولهذا يهمنا جدا أن نعرج على مافي الآيات من مسائل علميه يحسن تدوينها والمقصود من هذه الدروس وأضرابها المقصود من ذلك كله إنشاء جيل قرءآني يتدبر القرآن وهذه مساهمة لا أكثر ولا أقل في إحياء جيل ينشأ على تدبر القرآن لأن الله جل وعلا نعى إلى أهل الإشراك إغفالهم عن القرآن بقوله (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)فإننا نقول مستعينين بالله جل وعلا سورة التوبه سورة مدنيه وعدد آياتها/مائتان وتسع وعشرون آية وهذه السورة من آخر ما نزل من القرآن كما ثبت عند البخاري في صحيحه في كتاب التفسير من حديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه (أن سورة براءه من آخر مانزل) وليس المقصود بأنها آخر ما نزل كآيه وإنما كسورة مجمله هي آخر ما نزل وإلا كآيه قد عرجنا عليه في مسائل عدة .اختلاف العلماء في آخر مانزل منهم من قال (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) وهو الأظهر.ومنهم من قال إنها آية المائدة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) وقيل غير ذلك لكن هذين هما المشهوران الذي يعنينا أن سورة التوبه هي آخر مانزل وقبل أن نشرع في تفسير الست الآيات الأول منها نقدم اجمالا عن هذه السورة، النبي صلى الله عليه وسلم أنزل الله جل وعلا عليه القرآن أول ما أنزل (اقرأ باسم ربك الذي خلق) فكان لم يؤمر صلى الله عليه وسلم بأن يبلغه إلى الناس كان يقرأه بينه وبين نفسه ومن سنة الله في خلقه التدرج وعدم اعطاء الشيء دفعه واحدة فمن رام شيئا دفعه واحدة سيسقط عما قليل ولكن الله جل وعلا له سنن لاتتبدل ولا تتغير والله لايعجل لعجلة أحد من خلقه والله يقول لعبده (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) فلا يعطى الإنسان العطايا مره واحدة وإنما يتدرج فيها على هذا بنيت الدنيا... على هذا أجرى الله السنن في الكون، فهذا النبي الكريم أنزل عليه (اقرأ باسم ربك الذي خلق)ولم يقل له (ادع الناس) ولم يقل له"اتل القرآن على الناس"ولم يقل له شيء من ذلك فلما نزل من ذلك الجبل خائفا وجلا وضمته زوجته خديجه رضي الله عنها وءآوته واطمأنت نفسه أنزل الله جل وعلا عليه (يا أيها المدثر* قم فأنذر) ينذر من؟أنزل الله عليه(وأنذر عشيرتك الأقربين) الذين حوله ولم يؤمر بأكثر من هذا ثم بعد ذلك أمر بالعرب الذين في مكه وحولها قال الله (لتنذر أم القرى ومن

حولها) والقرآن يجب أن يفهم مقرونا بالسنة لأن من أخطاء من وقع في كتاب ربنا جل وعلا أنهم فهموا القرآن مجزوءا ولم ينظروا إلى سيرته صلى الله عليه وسلم وسنته حتى يفهم القرآن ومن أراد أن يفهم القرآن من غير السنه ومن غير سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فلن يفهم شيئا وهذا هو الذي وقع فيه الخوارج الأولون لما حاربوا حتى الصحابه لأنهم يفهموا مراد الله على ماأراده الله من رسوله صلى الله عليه وسلم فالله يقول(لتنذر أم القرى ومن حولها)لكن لايقصد الله بهذا نهاية النذارة وإنما التهيئه تدريجيا ثم أمره الله بأن ينذر العرب قاطبة ثم لما مكن الله له في الأرض صلوات الله وسلامه عليه وعقد صلح الحديبيه مع أهل مكة واطمأن من مقاومتهم أخذ صلى الله عليه وسلم يأتي بعالمية الدعوة ويراسل الملوك والزعماء آنذاك ليحقق قول الله جل وعلا(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) وقوله جل وعلا(وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين) في ظل هذا المفهوم يفهم الإنسان المقصود من سورة التوبة هذه السورة قلنا إنها من آخر مانزل في عام تسع من الهجره في شهر رجب خرج النبي صلى الله عليه وسلم بجيش العسرة إلى تبوك وقد قلنا في أكثر من درس أن هذه الغزوة سميت في القرآن بغزوة العسرة قال الله جل وعلا (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة) وسماها النبي صلى الله عليه وسلم في السنه/ غزوة تبوك ولذلك الإمام البخاري رحمه الله لما تكلم عنها قال "باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة"حتى يجمع بين تسمية السنه وتسمية القرآن. المقصود في عام تسع من الهجرة خرج صلى الله عليه وسلم في جيش العسرة إلى تبوك هذا الظرف الذي كان في جيش العسرة، كان فيه شح في المال وظهور في الثمار وحرا في المناخ أصاب الناس فتن فانقلبت الناس، كانوا أقسام في اتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم .منهم المثبطون، المحبطون، الناصرون، البكاؤون...فرق شتى فنزلت هذه السورة تبين حال المجتمع المدني وقت أن دعا النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة واستنفر الناس إلى غزوة العسرة بينتهم بجلاء فكشف الكثير من الأسرار كما سيأتي ثم بعد ذلك بعد عودته صلى الله عليه وسلم من تبوك لما عاد من... تخوم البلغاء وأذعن له الروم عامة بمعنى أنه لم يحصل حرب لكن اطمأن صلى الله عليه وسلم أن الروم لن تغزوه فرجع من تبوك لما لم يجد قتالا رجع إلى المدينة أراد صلى الله عليه وسلم أن يحج في العام التاسع ثم قال: إن العرب تحج وهي عراة وأنا لاأريد أن أحج على هذا الوضع فأمر أبا بكر رضي الله عنه أن يخرج بالناس حاجا .أمير على الحج لأن مكه كانت قد فتحت في العام الثامن ونحن نتحدث في العام التاسع فبعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه أميرا على الحج ثم بعد ذلك اتبعه بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ليظهر في الناس مقدمة سورة براءه فمقدمة سورة براءه الآيات الأول من سورة براءه الخمس الأول أوالست الأول من سورة براءه وإن كانت في مقدمة السورة إلا أنها من آخر مانزل في نفس السورة ,لأن السورة تكلمت عن المنافقين وعن حالهم مع

النبي صلى الله عليه وسلم مابين رجب إلى ذي الحجه ثم جاءت مقدمة السورة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يجعلوها في المقدمه فالقرآن ترتيبه الآن الذي نقرأه ليس على ترتيب نزوله من أهم مايجب أن تعلمه أن ترتيب القرآن على مانقرأه ليس على ترتيب نزوله فالفاتحه مثلا أول القرآن لكنها ليست أول سورة فالآيات الخمس من سورة العلق هي أول مانزل، فترتيب القرآن ليس ترتيبا حسب النزول وإنما لحكمه توقيفيه آرادها النبي صلى الله عليه وسلم بأمر ربه كان يملي الكتبه ويقول افعلوا كذا... واتركوا كذا... وضعوا الآيه في مكان كذا... والسورة بعد كذا... فترتيب القرآن ترتيب سور المصحف ترتيب توقيفي من النبي صلى الله عليه وسلم نفذه الصحابه .الذي يعنينا هذا هو المناخ العام لفهم سورة التوبه إذا ينجم عن هذا أن سورة التوبه ذكرت مواضيع عدة لكنها يمكن أن يقال أن موضوعين رئيسيين تضمنتها سورة التوبة:ـ الموضوع الأول :ـ علاقة المسلمين بالمشركين وأهل الكتاب.

الموضوع الثاني:ـ كشف أسرار المنافقين وحال الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المدينه وفي جيش العسرة على وجه الخصوص .هذان الموضوعان الرئيسيان اللذان تعرضت لهما سورة التوبه قال الله جل وعلا (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين *فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين*وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم...)إلى آخر الآيات إلى أن قال الله (وإن أحد من المشركين استجارك...) الأيه السادسه هي سنتكم عنها في لقاء هذا اليوم أول ما يلفت النظر في هذه السوره أنها ليست مصدره بالآيه الشهيره (بسم الله الرَّحمن الرَّحيم) ولذلك اختلف العلماء لماذا لم تصدر سورة براءه بـــــ (بسم الله الرَّحمن الرَّحيم) على أقوال عده:ــ

أشهر هذه الأقوال ثــــــــــــــــــلاث:ــ

وسنبدأ بالأضعف ثم الأقوى ثم ما نره راجحا على عادتنا في التفسير..

*أما الأضعف: فقد قيل إن من أسباب عدم ذكر(بسم الله الرحمن الرحيم) في أول سورة براءة أنها جرت عادة العرب أنه إذا كان ما بين قوم وقوم عهد فأراد أحدهم أن ينقضه كتبوا إليهم كتابا غير مصدر بالبسمله وهؤلاء يعنون بكلمة (بسم الله الرحمن الرحيم) (باسمك اللهم) هذا قول ذكره العلماء وهو أضعف الأقوال...

القول الثاني:ــ

ما رواه الحاكم في المستدرك وأحمد في المسند من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما:ــ أن ابن عباس سأل عثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنه وأرضاه قال له: لما جعلتم سورة الأنفال وهي من المثاني وبعدها سورة التوبة وهي من المئين ولم تجعلوا بينهما (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال عثمان رضي الله تعالى عنه وأرضاه لابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت إذا نزلت عليه السوره أو الآيه يقول ضعوها في مكان كذا في سورة كذا بعد

كذا وكذا وإن سورة الأنفال من أول ما نزل بالمدينه وإن سورة التوبة من آخر مانزل فمات النبي صلى الله عليه وسلم دون أن يبين لنا هل هما سورة واحده أم لا فاختلف الصحابه فمنهم من قال إنهما سورة واحده ومنهم قال إنهما سورتان فلم يفصلوا بينهما وجعلوا بينهما فرجه حتى يعرف أنهما سورتان منفصلتان ولم يكتب بينهما (بسم الله الرحمن الرحيم) حتى يبقى قول من قال إنهما سورة واحده يعني/ الصحابه تراضوا على هذا القول أنهم جعلوا بينهما فرجه حتى يرضوا من قال أنهما سورتان ولم يكتبوا (بسم الله الرحمن الرحيم) بينهما حتى يرضوا من قال: أنهما سورة واحده هذا القول اختاره العلامه الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان وقال: كعادته قال: مقيده عفى الله عنه وهو أظهر الأقوال عندي "عند الشنقيطي رحمه الله" هذا بناء على صحة الحديث والحديث رواه الحاكم كما قلت وقال صحيح على شرطيهما ولم يخرجاه (أي على شرطي البخاري ومسلم) ولم يخرجاه معناه/ لم يذكراها في الصحيحين هذا على صحة الحديث وقلت رواه أحمد في المسند ورواه البيهقي في السنن لكن قال الألباني رحمه الله: إن الحديث ضعيف وأغرب منه قال العلامه أحمد محمد شاكر محقق كتاب المسند قال: إن الحديث موضوع لا أصل له وهذا صعب أن يقال لكني لم أطلع إلى الآن على نص كلامه لكن كلامه مثبت في مكان آخر. قال: إن الحديث موضوع لا أصل له والحق أن المتن يؤيد قول أحمد محمد شاكر رحمه الله لأن الحديث فيه إن النبي صلى الله عليه وسلم مات ولم يبين لنا هل هما سورة أو سورتان هذا صعب أن يقال فمتن الحديث يساعد على قول العلامه أحمد محمد شاكر أن الحديث لا أصل له وقلت: إن الألباني رحمه الله يقول إن الحديث ضعيف أما من رأى صحة الحديث من العلماء كالترمذي حسنه أخذ به وذهب إلى أنه ما دام حسنه فهو صحيح عنده والأثر مقدم على العقل مقدم الأثر على الرأي عند كثيرين فلذلك اختار الشنقيطي رحمه الله القول بأن أظهر الأقوال هو هذا القول المحكي عن عثمان رضي الله تعالى عنه وأرضاه...

القول الثالث:ـــ

مروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعن سفيان بن عينيه المحدث المشهور وهذا القول هو الذي عليه أكثر العلماء وهو الذي نراه ونرجحه ونختاره والله أعلم، وهو أن سورة براءة نزلت بالسيف و (بسم الله الرحمن الرحيم) فيها أمان ورحمه والأمان والرحمه لا يتفق مع السيف وسورة براءة نزلت بالسيف والبراءه من أهل الإشراك وقوة الحجه على المنافقين وهذا لايتفق مع قوله جل وعلا (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا مجمل الأقوال الثلاثه التي ذكرها العلماء رحمهم الله في قضية لماذا لم تصدر سورة براءة بقول الرب جل وعلا (بسم الله الرحمن الرحيم) وخلاف العلماء فيه بقية... الأقوال يجب أن لا ينظر فيها لأنها بعيده جدا فيما نحسبه عن الصواب والله تعالى أعلم نعود إلى السوره:ـ قال الله في أولها: قبل أن نذكرها تفسير تفصيلي نقول: هذه السورة من أسمائها سورة الفاضحه وهذا

مروي عن ابن عباس لأنها فضحت أحوال أهل النفاق وقد قال سعيد بن جبير تلميذ ابن عباس أحد مشاهير التابعين خرج على الخليفه عبد الملك بن مروان فقتله الحجاج بن يوسف بأمر من عبد الملك بن مروان في فتنة عبد الرحمن بن الأشعث طبعا أنا أؤكد على من هم المفسرون وأذكر طرفا من أخبارهم لأنك تدرس تفسير فينبغي أن تعرف الأحاديث المعينه في التفسير والعلماء الذين تصدروا أهل التفسير وسعيد بن جبير هذا عرض القرآن على ابن عباس من أوله إلى آخره ثلاث مرات ، يستوقفه عند كل آيه ولما قتل الحجاج سعيد بن جبير بعد ذلك بسنين قال الإمام أحمد رحمه الله: قتل الحجاج سعيدا وما من أحد من أهل الأرض إلا وهو مفتقر إلى علم سعيد وقلنا إن سبب قتل الحجاج لسعيد بن جبير أنه خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث على عبد الملك بن مروان الخليفه الأموي المعروف الذي يعنينا أن سعيد بن جبير يقول: سألت ابن عباس عن سورة براءة فقال: هي الفاضحه ما زال ينزل ومنهم... ومنهم... ومنهم... يعني يذكر الله فيها المنافقين (ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا....) إلى آخر الآيات فما زال ينزل ومنهم ومنهم ...حتى خفنا ألا تدع أحد منهم فلذلك سميت بالفاضحه لأنها فضحت أحوال أهل النفاق عياذا بالله هذا ما يتعلق بتسمية السورة وقد أوصل الزمخشري رحمه الله في كتابه [الكشاف] عدد أسماء السورة إلى أربعة عشر. والزمخشري عالم لغوي شهير لكن عقيدته عقيدة المعتزله فجار الله الزمخشري رحمه الله وعفا عنه من مشاهير المعتزله ودافع عن مذهبهم دفاعا صلبا وإن كان من أفذاذ العلماء في اللغه والذي يعنينا الآن الرجل مات وأفضى إلى ما قدم الذي يعنينا العلم وقد ذكر أربعة عشر اسما في السوره لكنها كلها يدور في فلك واحد كلها يدور حول قول سعيد ابن جبير أنها الفاضحه هذا ما ذكرناه في سبب عدم تصدر السوره (بسم الله الرحمن الرحيم) وقلنا إن من أسمائها الفاضحه قال الله فيها: (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) يوجد مُتَبَرِئْ ويوجد مُتَبَرَأٌ منه فالمُتَبَرِئْ/" الله ورسوله..."
والمُتَبَرَأمنه/" من الذين عاهدتم من المشركين..."
البراءه/ الإنفكاك والتخلص من الشيء ولا تكون البراءه من شيء إلا إذا كنت لا تريده بالكليه وهي أعظم صفات الإنفكاك من الأشياء فأنت إذا تعاملت مع أحد وأخذت صك براءه فلا يستطيع خصمك أن يطالبك بأي شيء لانفكاك تماما عنه فالله جل وعلا يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس هذه طبعا براءه: خبر لمبتدأ محذوف تقديره/"هذه براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين" النبي عليه الصلاة والسلام كان الناس حوله ثلاثة أقســـــــــــــــام:ــ

1/ أهل حرب..   2/أهل ذمه..   3/ أهل عهد..

1/أهل الحرب:ـــ

الذين يحاربونه والذين مازال بينهم وبينه حروب....

2/أهل العهد:ـــ

الذين في الأصل هم محاربون لكن يوجد عهد لمده معينه....
3/ أهل الذمه:ـــ
غير مسلمين يعيشون تحت حكم المسلمين، كاليهود الذين كانوا أفرادا في المدينه هؤلاء يسمون أهل ذمه.
الخطاب هنا ليس موجها لا لأهل الحرب ولا لأهل الذمه موجه لأهل العهد
(براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) هذه البراءة فيها
(فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين) معنى الآيه يأخي: أن من كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد أو لم يكن بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فقد جعل الله لهم أربعة أشهر هذه الأربعة أشهر حرم الله فيها على المسلمين قتال أهل الإشراك قال لهم (فسيحوا في الأرض) الخطاب/ للمشركين سيحوا في الأرض أي اقبلوا وادبروا...سافروا...اذهبوا كيفما شئتم..لن ينالكم أذى من المسلمين هذا بأمر من الله لكن بعد الأربعة أشهر ينتهي الأمان..كما سيأتي..
ثم قال الله (واعلموا أنكم غير معجزي الله) (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) أي وإن أذن الله قدرا وشرعا أن تبقوا أربعة أشهر تسيحون في الأرض إلا أن ذلك لا يعني أبدا خروجكم وانفكاككم عن سلطان الله لأن هذا العطاء من الله أصلا (وأن الله مخزي الكافرين) الخزي في الكافرين واقع لامحاله في الدنيا والآخره واقع في الدنيا/ بالحرب والقتل والأسر وبما يقع فيه من التعذيب والنكال. ويقع في الأخره قطعا/بشيء واحد هو عذاب النار(فسيحوا في الأرض أربعة أشهر)يجب أن تعلم أن المخاطب بها :المشركين لذلك لايجوز نزع الآيه من سياقها والاحتجاج به وقد قرأت مرة لأحدهم يكتب عن السياحه وعلى أنه يجوز للمؤمن من السياحه مطلقا في أي ديار فقال فإن السياحه مباحه قال الله جل وعلا (فسيحوا في الأرض) وهذا إخراج النص من سياقه ووضعه في موضع غير موضعه هذا (فسيحوا في الأرض)مخاطب بها/المشركون والمقصود أنه لكم أمان من الله .أن تبقوا في الأرض أربعة أشهر أعطاكم الله إياها حتى يراجع المرء منهم حسابه ويتدبر في أمره ربما يفيء على أمر الله،بعد ذلك ينتهي الأمان الذي أعطاهم الله جل وعلا لهم ثم قال الله (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الكافرين بعذاب أليم) الأذان في اللغه/ هو الإعلام ،هذا الأذان تولاه علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه النبي صلى الله عليه وسلم قدمنا أنه بعث أبو بكر رضي الله عنه أميرا على الحج فلما وصل أبو بكر رضي الله عنه إلى ذو الحليفه بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعده علياً وأبو بكر رضي الله عنه حج بالناس وهو على ناقة النبي صلى الله عليه وسلم العظباء أميرا على الحج في العام التاسع فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم مقدمة سورة براءة أعطاها لعلي رضي الله عنه فأخذها علي رضي الله عنه حتى لحق بأبي بكر رضي الله عنه لذي الحليفه المسماه اليوم (بأبيار علي) طبعا لا علاقه لعلي بها وإنما

التسميه هذه جاءت متأخره أما على عهد الصحابه والتابعين لم تسمى (أبيار علي) وإنما هذه سميت متأخره للرجل اسمه علي مجهول لا يعرف لكنها مذكوره في التاريخ القديم الذي يعنينا وصل علي رضي الله عنه إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال أبو بكر لعلي وهذا من أدب الصحابه بعضهم مع بعض قال له: أمير أم مأمور فقال علي رضي الله عنه: بل مأمور هذه البراءه لما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتبرأ من أهل الإشراك وأن يبين حاله مع مشركي العرب، والإسلام دين واضح لا خداع فيه ولا تمويه لما أمر الله نبيه أن يفعل هذا جرت العاده أن مثل هذه الأمور لا يبلغها إلا الرجل بنفسه أو رجل من عصبته ولا شك أنه من حيث القرابه والعصبه واللصوق بالنبي صلى الله عليه وسلم فإن عليا أقرب للنبي صلى الله عليه وسلم من أبي بكر رضي الله عنه وإن كان أبو بكر أفضل من علي رضي الله عنه قطعا لكن علياً ألصق بالنبي صلى الله عليه وسلم من أبي بكر بل ألصق بالنبي صلى الله عليه وسلم من كل أحد لأنه زوج ابنته وتربى في حجره وابن عمه وقد قال الإمام أحمد رحمه الله لم يجمع لأحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الخصائص ما جمع لعلي رضي الله عنه وهو الذي تولى غسله عليه الصلاة والسلام فالصحابه الذين من آل البيت كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم أيام وفاته كانوا إما يحملونه صلى الله عليه وسلم يعني العباس كان مسند يده ظهر النبي صلى الله عليه وسلم عليه وأسامه كان يسكب الماء لكن كان الذي يباشر الماء علي رضي الله عنه ولما نزلوا في حفرته عليه الصلاة والسلام كان علي من باشر دفنه صلوات الله وسلامه عليه فعلي من حيث القرابه ألصق بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما نعلم من كل رجل وإن كان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وله مزيه لكن تأخر إسلام العباس جعل لعلي تلك المنزله فالرسول صلى الله عليه وسلم حتى يبين للعرب الذين لهم أعراف وعادات يحكمها النظام القبلي القديم أبقاه النبي صلى الله عليه وسلم وبعث عليا بالبراء بفواتح سورة براءة مع أبي بكر رضي الله عنه فكان الأمير هو أبو بكر رضي الله عنه وإنما تبليغ البراءه مسند إلى علي رضي الله تعالى عنه وأرضاه الله يقول :(وأذان من الله ورسوله إلى الناس) الآن لم يقل الله ما هو الآذان ما هو الإعلام ذكر الله الزمن تشويقا (إلى الناس) (يوم الحج الأكبر) واختلف العلماء رحمهم الله بما هو المقصود بيوم الحج الأكبر على أقوال: لكن هذه الأقوال تزدحم أخيرا في قولين وقولنا دائما من قواعد العلم..ضيق المسافات حتى تصل إلى قمة الهرم فذكرت أقوال عده تضيق منها من قال :أنه يوم عرفه وهو منقول عن كثير من الصحابه والذي عليه أكثر العلماء وأهل التحقيق أنه يوم النحر وسمي يوم الحج الأكبر لأنه لا تجتمع أعمال الحج في يوم كما تجتمع في يوم النحر والذي يظهر والله أعلم أنه يوم الحج الأكبر هو يوم النحر الآن إلى هنا لم يقل الله ما هو الأذان قال الله: (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله..) والغايه المجمله من الآيه براءة الرب جل وعلا ورسوله

صلى الله عليه وسلم من أهل الإشراك وهذا يدل على أنه ليس بين المؤمن والمشرك في الأصل أي عقد من الولايه وبين كل مؤمن ومؤمن عقد من الولايه بأصل الإيمان فمهما اختلفت اللغات والجنسيات وتباعد الديار وما أحدثه الإستعمار من فرقه إلا أن الله يقول: (إنما المؤمنون إخوه) فأنت ومنهم في أقصى الشرق أو في أقصى الغرب إخوان في المله والدين ولو أن أخاك من أمك وأبيك لا قدر الله كان كافرا فليس بينك وبينه أي ولايه لا ترثه ولا يرثك والله يقول عن إمام الحنفاء إبراهيم:(فلما تبين له) أي أن أباه (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) والمقصود من هذا أن الله جمع المؤمنين بتوحيده وخالف بينهم وبين أهل الإشراك لأنهم أشركوا فقال الله: (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله) هذه البراءه لم يكن وحدها التي ذهب بها علي وإنما أمر علي أن ينادي في الناس بأربعة أمور: 1/أن لا يطوف بالبيت عريان وكانت قريش تسمى نفسها الحمس ويقولون لمن يقدم عليهم من خارج مكه لا يجوز أن تطوف في ثياب فأنت واحد من أمرين:ــ إما أن تشتري ثوبا قريشا أو تأخذ ثوبا من أحد قريش أو أن تطوف عريانا فكان الناس بعضهم يطوف عراة على فقه قريش فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عليا أن ينادي بألا يطوف بالبيت عريان..2/ أن لا يدخل مكه بعد هذا العام مشرك وهذه قالها الله في كتابه: (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) فلا يقرب المسجد الحرام مشرك..3/ من كان له عهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعهده إلى مدته.4/ أنه لا يدخل الجنه إلا نفس مؤمنه..ختم الله لنا ولكم بالإيمان وأدخلنا الله وإياكم الجنه.هذه هي التي أذن بها علي رضي الله تعالى عنه في الحج (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله...)نأتي عند "ورسوله" وقلنا هذا الدرس علمي هذه "ورسوله" الواو هنا تحتمل احتمالين:ـالإحتمال الأول/ أن تكون عاطفه والإحتمال الذي عليه القراءه اليوم وهي أن تكون:ـ استئنافيه فإن كانت عاطفه فلها من حيث التصور احتمالان: الإحتمال الأول/ والإعتقاد به كفر أن يقرأها القاريء (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسولِه..) فتعطف الرسول صلى الله عليه وسلم على المشركين فيصبح معنى الآيه في غير القرآن أن الله متبرأ من المشركين متبرئ من رسوله صلى الله عليه وسلم وقد قرأها أعرابي بهذه الصوره/ سمع رجلا يلحن لا يعرف قواعد اللغه وعنده أعرابي قليل الفقه الرجل العامي يقرأ: (أن الله برئ من المشركين ورسولِه) فقال الأعرابي: برئت من رسول الله برئت فيمن برأ الله منه هذا السبب كان فيه سبب أحد أسباب قيام علم النحو فإن أبا الأسود الدولي يقولون/ أنه لما سمع هذا الأعرابي ذهب إلى علي رضي اله عنه وأخبره الخبر فقال له: انحُ للناس نحوا فصنع علم النحو طبعا هذه لا يقولها مسلم إلا جهلا ولا تجد مسلما يعتقدها أو يقولها هذا الإحتمال الأول من حيث النحو لكنه لا يمكن أن يقع شرعا..الإحتمال الثاني/أن تكون رسوله معطوفه

على لفظ الجلاله فتؤتى بالنصب فيصبح المعنى (أن اللهَ برئ من المشركين ورسولَهُ) فتصبح "ورسوله" معطوفه على لفظ الجلاله والمعنى هنا يستقيم وبه قراءة..الحاله الثالثه:ـ (أن الله بريء من المشركين) وتقف وتأتي الواو استئنافيه كلام جديد والمعنى: ورسوله كذلك بريء من المشركين.وهنا الواو تسمى استئنافيه وحق الاسم هنا أن يرفع لأن مابعد واو الإستئنافيه يعرب مبتدأ . (فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله)والخطاب للمشركين.(وبشري الكافرين بعذاب أليم)ثم قال الله جل علا (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد)هذه الآية قبل أن أفصل فيها تسمى آية السيف.طبعا عرفنا أن فيه سور من القرآن لها أسماء لكن ينبغي أن تعلم أن هناك آيات من القرآن لها أسماء وأنا سأراجع اليوم معكم أربع من آيات القرآن المسماه أشهر آية في القرآن مسماه :آية الكرسي وهي قول الله جل وعلا (الله لاإله إلا هو الحي القيوم....) الآية الخامسه والخمسون بعد المائتين من سورة البقره ثم بالترتيب :آية الدين أو آية المداينة اسم واحد وهي الآية الثانيه والثمانون بعد المائتين من سورة البقره (يأيها الذين ءامنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ...)إلى آخر الآية.والآية الثالثة:آية المباهلة الواحدة والستون أوالثالثة والستون من سورة آل عمران .(فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين)الآيه الرابعه:ـ آية السيف وهي الخامسه من سورة براءة.سميت آية السيف لأن الله أمر فيها بالقتال وقال بعض العلماء /إن هذه الآية ناسخة لكل مافي القرآن من أمور الكف والإعراض الله يقول (فاصفح عنهم وقل سلام)وقال (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا)وأمر نبيه بالصبر لكن قالوا هذه الآية ناسخه لكل ذلك وقال بعضهم إن آية سورة محمد (فإما منا بعد وإما فداء)ناسخه لآية السيف .وقال آخرون : إن آية السيف ناسخه لسورة محمد والحق أن لا أحدهما تنسخ الأخرى . وإنما العمل بهما جميعا وكل منها توضع في موضعها الذي سيظهر في سياق الكلام .الذي يعنينا أن هذه الآيه اسمها آية السيف وهي الآيه الخامسه من سورة التوبة.قال الله تعالى(فإذا انسلخ الأشهر الحرم)انسلخت / يعني مرت وانتهت.لكن ماهي الأشهر الحرم؟تحتمل معنين :الأول :ـ الأشهر الحرم التي في الذهن"ذوالقعده ـ وذوالحجة ـ ومحرم ـ ورجب" ثلاثة سرد وواحد فرد ، ثلاثة سرد"ذوالقعده ـ وذوالحجه ـ ومحرم"وواحد فرد "رجب"هذا في الذهن.الثاني:ـ اللفظ الآن في (فإذا انسلخ الأشهر الحرم)يعود على الأربعة أشهر التي مرت معنا (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) فالعودة إلى المذكور أصح من العودة إلى المقدر . فنعيد هذه الأربعة إلى قول الله جل وعلا (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر...)وأخذت كلمة حرم لأنه هو الذي حرم فيها على المسلمين قتال المشركين من هذا المعنى أخذت كلمة "حرم".(فإذا انسلخ الأشهر الحرم) ربنا يقول (فاقتلوا المشركين

حيث وجدتموهم)من هنا أخذ العلماء أن هذه الآيه اسمها آية السيف لكن يوجد في القرآن عام وخاص ويوجد في القرآن ناسخ ومنسوخ وبينهما فرق دقيق لايظهر إلا بالتطبيق لكن عموما النسخ لايقع في الأخبار ويقع التخصيص في الأخبار ،النسخ يقع في الشرائع لكن التخصيص لايقع بين شريعه وأخرى هذا من حيث الإجمال.أما من حيث التفصيل العام له ألفاظ اللفظ العام له من أشهر ألفاظه "كل"كلمة "كل"من أعظم ألفاظ العموم في القرآن وهي أم الباب يتبعها أدوات الشرط "من" ويتبعها بعد ذلك الأسماء الموصوله"الذي"ثم المضاف إلى معرفة...أمور طويله نبقى في الثلاث الأوائل.أما التخصيص فيقع على قسمين:الأول:ـ مخصص متصل.الثاني:ـ مخصص منفصل. سأضرب مثال على المخصص المتصل والمخصص المنفصل سنأخذه في آية السيف.المخصص المتصل:الله يقول (كل شيء هالك)هذه "كل"من ألفاظ العموم لكن هذا العموم خصص بقول الله تبارك وتعالى (كل شيء هالك إلا وجهه)فوجه الله ـ تعالى الله عما يقول الظالمون ـ ليس بهالك لأن الآية خصصته من كلمة"كل" خرج منها بحرف الإستثناء "إلا" استثني وجه الله تبارك وتعالى .فالإستثناء طريقه من طرائق التخصيص .فكل من ألفاظ العموم وخصص وجه الله جل وعلا من ألفاظ العموم هذا التخصيص وقع كله في آية واحدة لذلك اسماه العلماء تخصيص متصل .والشق الثاني:تخصيص منفصل هو الذي بين أيدينا يقول الرب جل وعلا (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) سأبدأ من النهايه (حيث وجدتموهم)يدل عموم على أن المشرك يقتل في أي مكان .لكن هذا الكلام لايصح هذه الآيه مخصصة بآية أخرى أنه توجد أمكنه لايجوز قتل المشرك فيها (في الحرم المكي)الله يقول (ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) إذا كيف يجمع مابين الآيتين ؟ أن يقال أن آية التوبة عامه وآية البقرة مخصصة لعموم آية التوبة فالمشرك يجوز قتله في أي مكان إذا لم يكن هناك عهد أو لم يكن هناك ذمه يجوز قتله حيث وجدناه إن لم يكن له عهد ولا ذمه ولا ميثاق إلا في المسجد الحرام فلو جاء إنسان وقتل أحدا في المسجد الحرام وقال إن الله يقول (حيث وجدتموهم)قلنا له إن هذه الآيه العامه خصصت بقول الرب جل وعلا(ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه)هذا تخصيص مكان.نرجع قليلا الله يقول(واقتلوا المشركين)تعم كل مشرك لكن هل يجوز قتل كل مشرك؟هنا مخصصه بالسنه لا يجوز قتل النساء ولايجوز قتل الرهبان ولايجوز قتل الأطفال دلت السنه في آثار عده متعاضدة أنه لايجوز قتل النساء ولاقتل الصبيان ولاقتل الرهبان إذا العموم الذي وجد هنا في قوله جل وعلا(المشركين)خصصته السنة فأخرجت السنة النساء وأخرجت الأطفال وأخرجت الرهبان وفي روايه أخرجت الشيخ الكبير الهرم إن لم يكن له دور في المعركه أما إن كان له دور حيث أنه مدبر أو مفكر أو مخطط للمعركه فيجوز قتله ولو كان شيخا فانيا مثل: دريد بن الصمه كان شيخا كبيرا فانيا وكان ذا عقل وتدبير وهو أحد فرسان العرب أدرك الطائف وهو كبير لكن

العرب عفا الله عنا وعنهم فيهم أنفه كانوا يقدمون رجلا يقال له مالك أو كعب ذاعلم بالمعركه ودريد أشد خبره من مالك هذا فلما أعمي يقودوه في المعركه وهو أعمى يتحسس الأرض ويسأل أين نحن؟قالوا أنت في ديار كذا قال ماتصلح ديار حرب أخرجوا فخاف الزعيم وهو من نفس القبيله أن يأخذ دريد الأمر عنه فما أراد أن يكون لدريد فيها نصيب فجاء بالسيف ووضعه على يد يعني وضع السيف وجعل نصل السيف قائم وثنى بطنه على السيف وقال إن لم تطعني هوازن قتلت نفسي يريد أن يخرج منها دريد بالكلية فهوازن كانت متعاطفه معه القبيله قالوا أنت الزعيم الذي تقوله هو الذي يمضي لن نأخذ برأي دريد فرفع نفسه عن السيف ووقعت الهزيمه عليه وكان رأي دريد أشد صوابا لكنه لم تأخذ به العرب.وهو القائل المثل المشهور:

وهلْ أنَا إِلا مِن غَزِيةُ إِن غَوتْ.
غَوَيتُ وإنْ تَرْشُد غَزيةُ أَرْشُد.

هذا دريد بن الصمه قتله المسلمون وهو شيخ كبير لأنه كان يخطط وله دور في المعركه أما الشيخ الكبير الذي ليس له يد في المعارك فهذا يترك .نعود اللآيه.قلنا إن هذا تخصيص فالله يقول (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد)وهذا كله أمر بتضيق الخناق عليهم.ثم قال الله جل وعلا(فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم)هذه الآيه استدل بها بعض العلماء/على أن تارك الصلاة كافر وحجتهم/قالوا إن الله ذكر ثلاثة أسباب هي العودة من الشرك وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.وقالوا إن إيتاء الزكاة خرج بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث(ثم ينظر في سبيله تارك الزكاة هل هو إلى الجنه أو إلى النار)ويبقى تارك الصلاة صاحب الشرك على حاله.وهذا رأي جيد وإن كان هذا ليس محل تفصيله لكن أنا أذكره لمناسبة الآية(فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم) ثم قال سبحانه (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) بعد أن ذكر الله جل وعلا لنبيه صلى الله عليه وسلم كيفية التعامل مع أهل الإشراك قال له (إن أحد من المشركين) طلب أن تجيره أن يلجأ إليك فالله يأمر نبيه أن يقبل تلك الإجاره وأن يجير ذلك لسبب عظيم وهو (حتى يسمع كلام الله)فإذا سمع كلام الله ومافي كلام الله من وعد ووعيد وثواب وعقاب ربما كان ذلك سبب في اسلامه بدليل أن الله قال بعدها (ذلك بأنهم قوم لايعلمون)الذي ينبغي أن تفهمه من الآية أن تفهم أن أهل الكفر وإن كان الكفر ملة واحدة لكن الكفار تختلف أسباب كفرهم فمنهم كافر عنادا ومنهم من هو كافر جهلا لو قدر له أن يسمع كلام الله لكان ذلك سببا في إيمانه فالله يقول لنبيه(حتى يسمع كلام الله)وهذا دلاله على أن المؤمن واثق من الدين الذي يدعوا له فينبغي أن نحرص على أن نسمع من كان علته الجهل أن يسمعه كلام الله وهذا يوجد في بلادنا مايسمى "بتوعية الجاليات"هذا أمر محمود لأن كثيرا من

الناس لمن يأتون لهذه البلاد بغير قصد الإسلام فإذا اختلطوا بالناس ورأوا الإسلام كان ذلك سببا في اسلامهم وقد يأتي إنسان يريد أن يكون لاعب كرة فيحتك بالمسلمين هنا ثم يرى عظمة الإسلام فإذا تلي عليه القرآن يصبح ذلك سبباقي اسلامه كذلك مايقال على حال الأفراد يقال على حال الأمم والدول فليست كل دول الكفر السبب في كفرها شيء واحد وإنما تختلف اختلاف واضح منها ماهو محارب للإسلام عقيده ،ومنهم من هو محارب للإسلام عملا، ومنهم من يحارب الإسلام لمصلحة ومنهم من لامصلحه له في حرب الإسلام فلا يحارب الإسلام فيجب أن نتعامل مع أهل الكفر بحسب أصل كفرهم أو بحسب سبب كفرهم مثلا قبل يومين وزيرة التربيه والتعليم في الدنمرك قررت تطبيق تدريس القرآن الكريم في مراحل التعليم العام في الدنمرك من دون أي ضغط دولي اسلامي هذا من أعظم الفتوح في عالم الإسلام اليوم ولما جاءت المعارضه واحتجت عليها في بلادها على أنها قررت تدريس القرآن قالت: إن الكثير من الدنمركيين مسلمين وأنا قلت أن كلمة كثير لاتعني الأكثر لاتعني الغلبة يوجد مسلمون دنمركيون وأصحاب لهم من الدنمركيين الغير مسلمين فنريد منهم أن يتعرفوا على الإسلام وهذه حضارات لايوجد شيء يمنعها فهذا الفكر العلماني هنا خدم الإسلام بما يسمى سياسيا تقاطع المصالح فيجب أن ينظر من يدعوا إلى الله ينظر إلى حال أهل الكفر فليس أهل الكفر وإن كان الكفر مله واحده ليس حالهم في معاداة الإسلام على حال واحدة بل يوجد بينهم أمور عظيمه من الخلافات فينبغي للعاقل أن يوطن نفسه كيف يدعوا إلى الله مستشهدا بالآية (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لايعلمون)قال العلماء:ـ ربما كان سبب كفرهم الجهل فإذا رفع عنهم الجهل دخلوا في دين الله تبارك وتعالى أو دخل في الإسلام بتعبير أوضح.المقصود من هذا أن الإنسان يفرق مابين من يدعوهم في تعامله مع الأفراد....تعامله مع الأمم...تعامله مع الدول ... بنص القرآن الآيه فيها دليل كذلك واضح على أن القرآن كلام الله وفيه رد عقدي على المعتزله الذين يقولون أن القرآن مخلوق وغير منزل والله جل وعلا قال (حتى يسمع كلام الله) فأضاف كلمة(كلام)إلى لفظ الجلاله وهو مايسمى بإضافة صفة إلى موصوف فالله جل وعلا من صفاته تبارك وتعالى أنه يتكلم بماشاء متى شاء له جل وعلا الأمر كله وهذا من أدلة أهل السنه وأدلتهم كثيره عليأن القرآن منزل غير مخلوق والآيه من حيث قواعد اللغه "إن"هذه شرطيه "وأحد"مبتدأوقلنا مراراهذه جمل شرطيه (فأجره)الفاء واقعة في جواب الشرط وسبب وقوعها أنها مبدوءه بفعل أمر.هذا ماأردت بيانه في هذا اللقاء وأنا أكثرت فيه من الناحيه العلمية لكن كما قلت المقصود أن يخرج من هذه الحلقه من يحمل تفسير كلام الله جل وعلا إلى غيره وليس المقصود الوعظ على وجه الخصوص وإن كانت ستأتي آيات خاصة بالوعظ نعرج عندها ونطيل أكثر من اليوم لكن أنا جرت العادة حتى وأنا أدرس في الكلية أن أول المحاضرات تكون أقل وآخر المحاضرت تكون أقل وهذا عين السنة .النبي

صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين ويختم بواحدة ويجعل الإطاله في الوسط ولن تجد هديا أعظم من هدي محمد صلى الله عليه وسلم وأنا كنت أصرف الطلاب في آخر العام وأذهب للوكيل وأقول له هذه السنة.لن تكون آخر حصة كمثل أوسط الحصص آخر العام يأخذ كلمتين مراجعة ويذهبون وكذلك بداية العام الله يقول على لسان نبيه (قل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا)

"سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك"

.